الصهيونيون بها باتجاه العرب، في فترة ما بين الحربين، ومنها محاولة وايزمان التعامل مع وجوه عرب خارج فلسطين، كسبيل للحد من المعارضة العربية لفكرة الوطن القومي اليهودي. ذلك البحث عمن يسمون بالقادة العرب المعتدلين الذين تمكن من رشوتهم، توصلاً إلى تسوية مع الصهيونية، يبدو مطابقاً لما يجري الآن. وليست السياسة الاسرائيلية، بعدم التحادث مع منظمة التحرير الفلسطينية اليوم، إلا لتعيد إلى الذاكرة موقف وايزمان تجاه القيادة الفلسطينية في فترة ما بين الحربين، عندما كان يصفها باستمرار بنعت: «سياسيون مشرقيون مستهترون».

الاستخفاف نفسه أظهرته جمعية بريت شالوم (وفاق السلام) التي، وإن كانت تدعو للتعاون بين العرقين الساميين والمساواة في الحقوق السياسية، قامت برشوة سياسيين فلسطينيين عرب وصحافيين، بهدف كسب تأييدهم.

ومن المحاولات أيضاً، أن مبالغ وفيرة من المال أنفقت، بهدف تشكيل أحزاب سياسية عربية «معتدلة». كما جرت محاولة غريبة في نوعها لشراء التأييد داخل الهيئة العربية. لكن جابوتنسكي خالف ذلك بقوله: إن التغلب على مشاعر العرب الوطنية غير ممكن، لا عن طريق الرشوة ولا بالمكاسب الإقتصادية. وأضاف محذراً: «العربي متخلف ثقافياً، لكن غريزته الوطنية صافية ونبيلة، كما هي غريزتنا، ولا يمكن أن تشترى. فقط، القوة القاهرة يمكن أن تكبحها».

إلى الرشوة والقوة في التعامل مع العرب، هناك الصهاينة ممن تظاهروا بـ «الاعتدال» تجاه العرب، وهؤلاء كانوا يأملون بإمكان تأجيل أي عمل عربي فاعل ضدهم، ريثما يصبحون أقوياء بما فيه الكفاية، لتدبر الحلول التي يفضلها جابوتنسكي. وتجب الاشارة هنا، إلى أن حزب العمل وتكتل ليكود ليسا بعيدين، احدهما عن الآخر، في ما يجب عمله مع الشعب الفلسطيني في المرحلة الراهنة.

أما في ما خص رغبة العرب بالتعايش مع اليهود، فالوثائق عنها كثيرة في هذه الدراسة. من ذلك، أن فكرة فلسطين ديمقراطية وتعددية التي تدعو إليها منظمة التحرير الفلسطينية في الوقت الحاضر، كانت، في الواقع، قد أعلنت وعرضت من قبل معظم التنظيمات الفلسطينية، في وقت سابق من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٨. ففي مذكرة رفعتها إلى السلطات العسكرية البريطانية، احتجاجاً على استعراض استفزازي نظمه الصهاينة في القدس في ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٨، دانت تلك التنظيمات الاقتصار على فكرة الوطن القومي، وأكدت رغبتها «كمسلمين ومسيحيين بالعيش مع إخوتنا يهود فلسطين، بسلام وسعادة، وفي ظل حقوق متساوية». لكن اندفاع الصهيونية إلى استعمار فلسطين قضى على كل مطمح إلى حل منصف. وكما تقول ليش: «إن شعور الزعماء اليهود بتفوقهم كأوروبيين حال دون مواجهتهم المشكلة في العشرينات، عندما بدا أن تسوية ما ممكنة».

إن أحد الأسباب الرئيسية في فشل الحركة الوطنية الفلسطينية، في فترة ما بين الحربين، مرده إلى تدخلها في السياسات العربية الداخلية، واعتمادها على حكام يعوزهم الثقل الديبلوماسي، بما يناسب مواجهة القوى الامبريالية الأوروبية، فضلاً عن أنهم يعتمدون عسكرياً على بريطانيا وفرنسا. واليوم، فإن الولايات المتحدة هي من يقوم بالدور الرئيسي في تزويد إسرائيل والأنظمة العربية المحافظة بالعتاد العسكري. وعلى رغم كثرة الحديث عن سلاح نفطي، لا يزال الثقل الديبلوماسي في مواجهة الولايات المتحدة مقيداً.

ما في هذه الدراسة يقدم للنضال الفلسطيني القائم الآن صورة تاريخية ذات قيمة، ويساعد القارىء على طرح أسئلة مهمة حول الحقائق الراهنة خلال هذا المفصل الحاسم، وهي تشكل إضافة إلى أدبيات الحركة الوطنية الفلسطينية. وقد روعي في الكتاب التوثيق الكامل، مع اعتماد المصادر الأصلية عموماً.

نصير عاروري*

---

* نصير عاروري، أستاذ العلوم السياسية في جامعة ساوث إسترن، ماساتشوستس، والناطق باسم المؤتمر الفلسطيني في أميركا الشمالية.